http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1510) السنة السادسة -الاثنين (18) آيار 2009

"المدى" في مهرجان "كان" السينمائي الدولي:

ميلاد نجم عربي جديد في فرنسا

الوهراني طاهر رحيم مرشّح قوي لجائزة أفضل ممثّل

عرفان رشيد
كان

مثلما تمكّن فيلم "الصف" للمخرج الفرنسي لوران كانتييه في العام الماضي من إبقاء السعفة الذهبية لمهرجان كان السينمائي الدولي في فرنسا، بعد عشرين سنة من غيابها عنها، فإن هناك ثمة احتمالاً كبيراً بأن يتنافس شريط (نبي) للمخرج جاك أوديار على سعفة الدورة الثانية والستين للمهرجان.

ومثلما "يغامر" أوديار بحمل السعفة الذهبية ليلة الرابع والعشرين من هذا الشهر، فإن بطل الفيلم، الوهراني طاهر رحيم، منافس قوي وجدير للحصول على جائزة أفضل ممثل، فقد تمكّن بأداء رائع من تجسيد شخصية مكتملة، وأضافه ذلك الأداء إلى (كتيبة) الممثلين المغاربيين العاملين في فرنسا والذين لم تَعُدْ السينما الفرنسية تتمكن من الاستغناء عنهم، ليس على صعيد أداء الشخصيات المغاربية والعربية فحسب، بل أيضاً لتمثيل فرنسا في لجان التحكيم الدولية أو في رئاستها، كما حدث مع التونسي الأصل (عبد اللطيف قشيش) في لجنة تحكيم (أسد المستقبل) في دورة العام الماضي من مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي وكما يحدث مع المغربي الأصل (رشدي الزام) الذي يترأس في دورة كان الحالية لجنة تحكيم (الكاميرا الذهبية).

وكما استعان لوران كانتييه بالمدرسة ليتحدث عن الواقع الفرنسي الجديد متعدد الأعراق والجنسيات والأديان وما يعتلج في داخله وما يتمخّض عن هذا التشكّل المعقّد من صراعات ومواجهات وغنىً أيضاً، فقد دخل أوديار إلى موقع يضم هو الآخر بدوره تعدداً كبيراً، خطيراً ومعقّداً للأعراق والجنسيات، وذلك هو عالم السجون.

وبرغم الاختلاف بين أجواء كانتييه الجميلة – المدرسة– وأجواء أوديار القاسية والدموية – عالم السجن والإجرام المنظم–، فإن كلا الفيلمين يتعاملان مع واقع المناطق القصيّة والمغرّبة في زمن العولمة القاسي. وبرغم أن فرنسا ليست الوحيدة من بين شقيقاتها الأوروبيات في التعامل مع هذه الملفات الشائكة، فإن سينماها تبدو الأقدر في التعامل معها ليس بمنطق (الحوار بين الأديان)، الذي صار شمّاعة واسعة وكبيرة تُعلّق عليها جميع المشاكل والنتائج، بل من خلال منطق الدولة العلمانية، على عكس إيطاليا التي أغدقت الكثير في إنجاز الأعمال السينمائية والتلفزيونية لكن غالبية هذه الأعمال تعاملت مع التعددية العرقية والثقافية من المنطلق الديني ومن منطلق التسامح والنيات الحسنة التي لا تكفي لوحدها في تأسيس مقوّمات التعايش.

مبنياً على نص السيناريو الأول للكاتب الجزائري الأصل عبد الرؤوف ظرفي، وكتب بالتعاون مع نيكولاس بيوفاليت، يتناول الفيلم ميلاد (العرّاب) عالم الإجرام المنظم، وبرغم قرابته من كثير من أفلام المافيا (الصقلية وغيرها) فإن هذا العمل يسير على الخط الهلامي وغير المرئي الذي بات يربط عالم الإرهاب (بكل أنواعه) وعوالم المافيا وكيفية التقاطع فيما بينها وبين مخططاتها وأساليبها، وبالذات التقاطع الخطير بين مصادر تمويلها وصولاً، في النهاية، إلى ما لا مناص منه، أي المواجهة وتصفية أحدهما للآخر.

يروي الفيلم يوميات ست سنين من حياة الشاب الجزائري، الأمّي، (مالك الجبنة) الذي يُدخل سجناً قاسياً في مدينة فرنسية تقع في المسافة ما بين باريس شمالاً ومرسيليا جنوباً، مالك، لا يملك شيئاً على الإطلاق إلا قوته الجسدية كشاب في التاسعة عشرة من العمر، إلاّ أن مرور المشاهد تدلّل، وبشكل متواتر، على امتلاك مَلَكَة لم ينتبه إليها الآخرون وتعاملوا معها ومع صاحبها بسطحية خطيرة. فلمالك ظمأ كبير للتعلّم، تعلّم كل شيء، بدءاً من القراءة والكتابة، مروراً بلغة أهل جزيرة (كورسيكا) وصولاً إلى تعلّم مهنة (العرّاب) التي ستحمله في نهاية الفيلم إلى التسيّد على الهرم الإجرامي من خلال قسوته وفراسته وقدرته على الموازنة بين عالم الأجرام المنظّم (المافيا) وعالم الإرهاب الأصولي. وبرغم أن نص السيناريو والمخرج، وبالتالي الفيلم، لم يحددوا موقفاً من ظاهرة الإرهاب الأصولي، فإنهم يُشيرون إلى أحد مصادر تمويل هذا الإرهاب وهو التمويل القادم من عالم الإجرام المنظم.

حين يدخل (مالك) السجن يقع تحت ضغط زعيم المافيا الكورسيكية (سيزار) والذي يراقبه ويضعه في لحظة ما أمام واحد من خيارين، إمّا أن يقتل بالموسى أحد أفراد عصابة المغاربيين المرسيليين (رياض) أو أن يموت على يد الكورسيكيين.

(سيزار) لا يمزح، فهو يمتلك الهيمنة الكاملة على السجن بأسره، ليس على نزلائه فحسب، بل أيضاً رجال الشرطة العاملين فيه إضافة إلى تحريكه جزءاً لا بأس به من رجال القضاء في الخارج. يُدرّب (مالك) على عملية الذبح وينفّذها وتجعله جريمته الأولى مقرّباً إلى «سيزار» لكنها تجعله أيضاً فريسة للكوابيس ولهواجس الشعور بالذنب لأنه قتل إنساناً من دون معرفة السبب في اقترافه تلك الجريمة.

يُتيح سلوك مالك داخل السجن فرصة التمتع بإجازة نهار خارج السجن، لكنه يكتشف أن تلك (الجائزة) لم تكن إلاّ نتاجاً لضغوط مارسها (سيزار) ليس حباً به، بل لِيُنفذ ما سيُكلّف به خارج أسوار السجن. تلك (الهدية) تُصبح الخطوة الأولى في مسار (مالك) ليتحوّل عرّاباً حقيقياً ومهيمناً على الهرم الإجرامي داخل السجن، إذ يتمكّن من تصفية رؤوس من جماعات إجرامية، ومن بينهم الكورسيكيين والمغاربيين أنفسهم، و(يشتري) ذمم الجماعات الأصولية داخل السجن من خلال (التبرّع) إليهم بمبلغ ضخم بذريعة أنه "مال حرام لكن بإمكانكم أنتم استخدامه في العمل الصالح..." ولا يعترض الأصوليون على المبدأ الميكيافيللي (الغاية تُبرّر الوسيلة..)، بل يتحول أفرادهم إلى درع واق لمالك وذراعه المنفّذة في صراع المواجهة مع (سيزار) الذي لا يُقتل بل يُطرح أرضاً يتلوّى بعد ضرب مُبرح، وهو العقاب الأكبر لأي عرّاب وقد يقوده في النهاية إلى الانتحار.

ومع إعجابي، وإعجاب الكثيرين من النقّاد، بهذا الفيلم فلابد من تسجيل بضع ملاحظات قد ينتبه إليها مُنجزو الفيلم ومن بينها عنوانه، فالعنوان (نبي) لا يُمثّل الفيلم على الإطلاق ولا يبدو ذا صلة بقصة بطله أو بإحداثه وأعتقد أنه وُضع لغرض الغرابة الإستشراقية فحسب، أما الملاحظة الأخرى فهي حول طول الفيلم وأعتقد أنه كان بالإمكان أن تختزل منه بضع دقائق بإزالة بعض المشاهد المكررة والمعتادة في أفلام المافيا.

متابعة

تألق الأدب التفاعلي الرقمي في مؤتمر علمي تكنولوجي

باقر جاسم محمد

إذا كان الرأي السائد أن العلاقة بين الأدب والتكنولوجيا هي علاقة انقطاع، فإن المعطيات الحديثة تؤكد أن الفعل الأدبي الإبداعي لا يتوقف عن التفاعل الخلاق مع شتى ضروب النتاج المعرفي في سعيه المثابر لأن يكون معبراً عن رؤية جديدة تتناسب مع الواقع الراهن للإنسان المعاصر من دون أن يغفل عن مد جذوره عميقاً في التراث، وهكذا كان إسهام جماعة من المبدعين والباحثين في الأدب التفاعلي الرقمي Interactive Literature في (المؤتمر العلمي الأول لتقنيات الحاسوب وتطبيقاته في المجالات العملية والإنسانية) المنعقد للفترة من ٩-١٠ مايس ٢٠٠٩ مناسبة لإبراز أهمية ظاهرة الأدب التفاعلي الرقمي في مستقبل الثقافة العربية.

ففي هذا المؤتمر الذي نظمته جامعة بابل بالتعاون مع فرع العراق من المؤسسة العالمية لمهندسي الكهرباء والإلكترونيك، والمعروفة اختصاراً باسم (IEEE)، كان المحور الرابع قد خصص للبحث في تقنيات الحاسوب وإسنادها التطبيقات في المعارف الإنسانية المختلفة، ومنها الأدب والفن والآثار والدراسات الحضارية، وضمن هذا المحور كانت مشاركة نخبة من المهتمين والباحثين والمبدعين في حقل الأدب التفاعلي الرقمي في بحوث تناولت جوانب شتى من صور التفاعل بين أنماط الأدب المختلفة والوسيط الإلكتروني الرقمي، ففي الجلسة الأولى التي أدارها الدكتور عباس رشيد الددة من كلية الآداب في جامعة بابل، قدمت الأوراق البحثية الآتية:

١- «المسرح الرقمي بين النظرية والتطبيق (تمهيد تأسيسي)» للدكتور محمد حسين الحبيب من كلية التربية الفنية في جامعة بابل.

٢- «لغات النص التفاعلي الرقمي» للدكتور إحسان محمد جواد التميمي من جامعة بغداد.

٣- «الاعتباطية والأدب الرقمي – التأصيل والمتغيرات» للدكتور عادل نذير بيري من جامعة كربلاء.

٤- «الأدب التفاعلي: المفهوم و الآفاق» للأستاذ باقر جاسم محمد من كلية الآداب/جامعة بابل.

٥- الحداثة التكنو ثقافية: عصر من القلق المستمر للدكتور علاء جبر محمد.

٦- «مدخل سيبرنيطيقي إلى الأدب التفاعلي» للدكتور أمجد حميد عبد الله من جامعة كربلاء.

٧- «قصيدة الحواس: مقاربة في النص التفاعلي الرقمي» للسيد منعم جبار عبيد.

أما في الجلسة الثانية التي أدارها الأستاذ باقر جاسم محمد، فقد ألقيت البحوث الآتية:

١-«العروض الرقمي التفاعلي» للدكتور محسن علي السويدي من الجامعة المستنصرية.

٢- «المدونة الرقمية الشعرية» للدكتور حسن عبد الغني الأسدي من جامعة كربلاء.

٣- «مقارنة دراسات موسيقى الشعر و مناهجها: مدخل رقمي» للست زينب خلف.

٤- «إشكالية التنبيئة الثقافية في المسرح الرقمي التفاعلي العربي» للدكتورة ناهضة ستار من جامعة القادسية.

٥- «منهج المنطق الغامض في التعرف على شكل الحرف العربي المنفرد» وهو بحث تقني مشترك بين الست ماجدة علي عبد، وحميد علي عبد وزينب صباح بهاء الدين وأحمد ناصر إسماعيل.

٦- «تصميم قاعدة بيانات مقترحة لإدارة المشاريع الهندسية و الإنشائية» للأستاذ عبد الستار جبار ناصر القيسي.

٧- «نمذجة تحليل المعطيات الزراعية المستعملة في برامج مكافحة الآفات الزراعية» للسيدة زينب علي و السيد ماهر محمد.

وقد حظيت البحوث المتخصصة بالأدب التفاعلي باهتمام واسع تجسد في المناقشات العلمية التي تمحورت حول مشكلات أساسية تتعلق بظاهرة الأدب التفاعلي الرقمي وبخاصة في المشكلة الاصطلاحية، وكيفية التلقي والتعامل مع المدونة الرقمية التفاعلية، وكيفية التعامل مع حقوق المؤلف ولمن ينسب العمل، ومستقبل هذه الظاهرة الأدبية الجديدة.

وقد وزع منتدى الأدب التفاعلي الرقمي في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق مجموعة مطبوعات وأدبيات أساسية من نتاج الأعضاء، وشملت كتباً وكراريس وأقراصاً مدمجة في الأدب والنقد التفاعلي.

وقد شكل حضور ظاهرة الأدب التفاعلي الرقمي في هذا المؤتمر مرحلة مهمة على طريق تأصيل هذا النهج الإبداعي الجديد حتى أن البعض من الحاضرين من ذوي الاختصاصات العلمية الحاسوبية قد عدّ هذه الظاهرة أحد المعالم المهمة في هذا المؤتمر العلمي التخصصي.

تأبين الفنان قاسم محمد في هولندا

مجيد خليل

أقام اتحاد الجمعيات الديمقراطية العراقية في هولندا حفلا تأبينيا للفنان الفقيد قاسم محمد، في مدينة دنهاخ، وقد ألقت السيدة مي البتي كلمة اتحاد الجمعيات الديمقراطية العراقية في هولندا، أشارت فيها إلى أن الفنان قاسم نجم من نجوم الثقافة الساطعة في بلادنا، وبرحيله فقد المسرح العراقي أحد أعمدته البارزة، كما نوهت الكلمة ببحث الفنان الدائم عن التجديد ودوره في استلهام التراث وعرضه بروح معاصرة، كذلك دوره في تعزيز الثقافة الوطنية الديمقراطية.

ثم قدمت مقاطع من مسرحية (بغداد الأزل بين الجد و الهزل)، قدم فيها قاسم محمد عصارة روحه وتجربته الإبداعية للمشاهدين، مستحضرا التراث العربي بشكل خلاق، وانشد الحضور إلى العرض فأصبحوا جزء من أسواق بغداد.

ثم قدمت الفنانة مي شوقي سيرة الفنان الراحل، فتحدثت عن أعماله المسرحية، تأليفاً وترجمة وتعريقاً وإخراجاً وتمثيلاً، وعن دراسته داخل الوطن وخارجه، وأثره في الحركة المسرحية؛ كما قرأت نصوصا، عبرت عن الحزن العميق لرحيل الفنان قاسم، كتبها زملاء و أصدقاء ومحبو الفقيد.

عرضت في الحفل إلى جانب بعض المشاهد من أعماله المسرحية إعلانات المسرحيات التي قدمها الفقيد، وهي تعكس النتاج المتنوع الذي أجهد الفنان نفسه لتقديمه للجمهور، كما عرضت بعض الصور التي تبين مراحل مختلفة من حياته، كذلك صور للحظات التشييع المؤلمة وصور أخرى لحفل التأبين في كربلاء.

وقد ألقى مجيد خليل كلمة منظمة الحزب الشيوعي العراقي في هولندا، التي قيمت الجهد الإبداعي للفقيد، وأشارت إلى الخسارة الكبرى بفجيعة فقدانه، وطالبت الحكومة بأن تضمن حرية الثقافة والإبداع حتى لا يضطر المبدعون إلى مغادرة الوطن، فالفن لا ينمو إلا في أجواء الحرية.

ثم تحدث الناقد ياسين النصير عن قاسم محمد، مشيراً إلى قدرة قاسم على استنباط المسرح التجريبي السوفيتي وتوظيفه في بغداد، ويرى النصير أننا مدينون إلى المدرسة السوفيتية بالكثير، وهو الأمر الذي غاب عن النقد.

إن قاسم يقدم نظرية في كل عمل مسرحي، كما أنه استلهم التراث لغويا و حوله إلى دراما، ووظف مفهوم اللوحة وليس الفصول وبنى أعماله المسرحية على أساس تداخل اللوحات، معتبرا قاسم واحدا من بناة التجديد والثقافة الروحية.

وكانت خاتمة الحفل قراءة مسرحية للفنان خليل شوقي، اعتلى الفنان القدير خشبة المسرح بعمره الثمانيني، سحرته الخشبة فصار شاباً متوقداً حركة وانفعالاً، فرأينا أمامنا العم نوري حسن علي البغدادي، ببساطته و نبل أخلاقه، يروي قصة حياته ومعاناته كسائق، يحمل الإجازة رقم ٦، وهو يشق طرقات العراق بكل الاتجاهات.

كان الفقيد قاسم قد أرسل رسالة إلى الأستاذ خليل شوقي، يطلب منه فيها أن ينجز قراءة مسرحية لشخصية نوري، وهو أحدى شخصيات رواية (المخاض) للفقيد غائب طعمة فرمان؛ وإزاء ما اعتبره الفنان خليل تكليفا، بحث عن وسائل تحقيق رغبة الفنان قاسم، وأسف لأن تحقيق هذه الرغبة جاء متأخراً.

سحر الأستاذ خليل الجمهور بأدائه الرائع، وقد سما بهم إلى ذرى الجمال والنشوة، فالتهبت الأكف بالتصفيق الحار، وقد صاحبه في الأداء عزف جميل على العود للفنان الشاب سعد لطيف، الذي قدم أكثر من مقطوعة جميلة خلال فقرات الحفل المهيب.

البرج الماجي

ساعة مخاض القصيدة

فوزي كريم

القصائد التي واصلتُ كتابتها في لندن قبل ثلاثين عاماً، تعتمد محاورَ واضحة، أبرز هذه المحاور التي تستهويني هو كتابة قصيدة عن القصيدة، عن لحظة مخاض الشعر، كيف تتكون القصيدة في داخل الشاعر: عبر الكلمات، مع الكلمات، قبل الكلمات وفي المخيلة، أم في المشاعر قبل الكلمات وقبل المخيلة، أم مع إيقاع مجرد، أم لحن موسيقي مجرد؟

مادةٌ تليقُ بالتأمل النقدي، أو الدراسة النقدية. ولعل ولع الشاعر بأمر تأمليٌ كهذا يبدو لي استثناءً في شعرنا العربي، قد ترِدُ إشارات خاطفة في بعض القصائد لهذا الشاعر أو ذاك، ولكن لا تبلغ مدى قصيدة مكرّسة. طبعاً، لا أعرف مصدر ولعي هذا إلا باعتباره تعبيراً عن حيرة عميقة بشأن مصدر القصيدة وهدفها، ولا شك في أن هذه الحيرة منحتني أكثر من دافع لتأمل الأمر في حقل النقد.

الدكتور حسن ناظم في كتابه «أنسنة الشعر» (المركز الثقافي العربي ٢٠٠٥)، الذي كتبه عن شعري، عقد فصلاً لهذا المحور، تحت عنوان «الشعر الواصف»، حتى انه وضع قصيدة «امرأة من رخام» في مستهل كتابه تحت عنوان «بيان شعري».

انتباهة الدكتور حسن كانت محفزاً لمشروع لم يكن في الحسبان. كثيراً ما كنتُ أتوقف، عبر قراءاتي للشعر الإنكليزي، عند قصائد تسعى هذا المسعى. لعل قصيدة «الفكرة . الثعلب» للشاعر تيد هيوز كانت أولى المحطات، قرأت القصيدة منذ فترة طويلة، ولم أستعدها إلا بعد أن طرأ على ذهني مشروعُ كتاب جديد، صرتُ أرغب بوضعه، يجمع بين التأملات النقدية حول لحظة المخاض بالقصيدة، وبين مختارات مترجمة عن الشعر الإنكليزي، تتعامل مع هذا الموضوع.

قصيدة هيوز رائعة، ونموذجية، فهو يختلي في مكتبه، داخل بيته، بينما يغطي الثلجُ الغابةَ المحيطة. يشرعُ بالكتابة على صفحة بيضاء، ويتخيلُ أن ثعلباً في مكان ما على صفحة الثلج البيضاء، يترك آثاراً سوداءَ لخطواته. وبعينين واسعتي وعميقتي الخضرة، وعبر نتانة رائحة حارة ثاقبة مفاجئة، «يَدخلُ الثقبَ الأسودَ للرأس»، «النافذةُ ساكنةٌ دون نجوم؛ الساعةُ تنتك، والصفحة البيضاء ممتلئة».

صرتُ ألتقط أي قصيدة بهذا الاتجاه، ولأي شاعر، شعراء على مستوى نيرودا، ستيفنسون، وليمز كارلوس وليمز، أرشيبالد ماكليش، باسترناك، شيموس هيني، ميْووش، وشعراء آخرين، مجهولين عند القارئ العربي.

قراءة القصائد تباعاً تمنح أفقاً مفتوحاً للتنوع الغريب للرؤى، وللمخيلة، وللمواقف من لحظة المخاض تلك. إنها تضع الشاعر أمام أخطر أسئلته: من أين تأتي قصيدتي، ولأي وجهة تهدف؟ شعرنا العربي لم يُشغل البال بتساؤل كهذا، بل هو لم يُشغل باله بالتساؤل أصلاً، نبوئيٌّ ويقينيّ، وعارف بالظاهر والباطن: من البياتي العارف حكمة التاريخ الظاهرة، إلى أدونيس العارف حكمة التاريخ الباطنة.. لنتوقف عند قصيدة نيرودا: شعر

وكما كان في عمره ذاك...وصل الشعرُ/ باحثاً عني.
ما كنت لأعرفَ من أين أقبل،/ أمن شتاء، أم من نهر.
ما كنت لأعرفُ كيف ومتى،
فلم يكن أصواتاً، ولا كلمات، ولا صمتاً،
بل دعوةً من شارع/ ومن أغصان ليل،
ومن آخرين على نحو فظ،
بين نيران محرقة/ أو وحيداً عدتُ
وها كنتُ بلا وجه/ وقد مسّني.
افتقدتُ قدرة القول، فمي لا يسمّي،/ وعيناي لا تبصران،
وثمة ما يبدأ الآن في الروح،/ حمّى أو أجنحة منسية،
ولفكّ مغالق تلك النار شققتُ طريقي،
وكتبتُ السطر الواهنَ الأول،
وعلى حين غرة رأيت السماوات تعرى وتُفتح،
كواكبَ، مستعمرات نابضة،
ظلالاً مثقباً كغربال بالسهام،
ناراً وأزهاراً،/ ليلاً عاصفاً وكونا.
وأنا المتناهي الصغر،/ المخمور بسعة الفراغ النجمي،/ الشَبَهُ،
وعنوانُ الغموض،
أنا الجزء الصافي من الهاوية،
أندفع وسط النجوم،/ وقلبي طليقٌ في الريح.

صرتُ ألتقط أي قصيدة بهذا الاتجاه، ولأي شاعر، شعراء على مستوى نيرودا، ستيفنسون، وليمز كارلوس وليمز، أرشيبالد ماكليش، باسترناك، شيموس هيني، ميْووش، وشعراء آخرين، مجهولين عند القارئ العربي. قراءة القصائد تباعاً تمنح أفقاً مفتوحاً للتنوع الغريب للرؤى، وللمخيلة، وللمواقف من لحظة المخاض تلك. إنها تضع الشاعر أمام أخطر أسئلته: من أين تأتي قصيدتي، ولأي وجهة تهدف؟ شعرنا العربي لم يُشغل البال بتساؤل كهذا، بل هو لم يُشغل باله بالتساؤل أصلاً، نبوئيٌّ ويقينيّ، وعارف بالظاهر والباطن: من البياتي العارف حكمة التاريخ الظاهرة، إلى أدونيس العارف حكمة التاريخ الباطنة.. لنتوقف عند قصيدة نيرودا